الفصل السادس

الحياة الاقتصادية

الزراعة وملكية الأراضي الزراعية

الفلاح والأرض والمحاصيل

بيارات البرتقال في اسدود

مسميات الأرض

الأرض والضرائب

الحصاد

الدراس

أهم الموجودات في بيت الفلاح

الصناعة

التجار والحرفيون

النقود (العملة)

الزراعة

وملكية الأراضي الزراعية

كان الفلاحون يشكلون السواد الأعظم من الشعب العربي الفلسطيني. وكانوا يسكنون القرى، ويعيش معظمهم من العمل في الأرض. وهكذا كان ارتباط الفلاح بأرضه ارتباطاُ مصيرياُ، فلا ينتقل منها كالموظف تبعاُ لوظيفته. ومن هنا أصبح الفلاح ركنا أساسيا في بنية الشعب الفلسطيني، بل غدا رمزا للصمود والكفاح، إذ كان العمود الفقري للثورات جميعها، وإن كان اشتعالها يبدأ في المدن، لكن الفلاح كان دائما وأبدا وقود الثورات والعنصر الفعال في الحركة الوطنية.

ومع أن الفلاحين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان فلسطين، فإنهم كانوا لا يملكون سوى نسبة صغيرة من الأراضي الزراعية. كان كبار الملاكين يسيطرون على حوالي 60% من الأرض الزراعية، وتملك الطبقة الوسطى من كبار التجار وكبار موظفي الحكومة، وذوي المهن الحرة، حوالي 15%، والباقي 25% هي نصيب الغالبية العظمى من الشعب.

كان في فلسطين في بداية عهد الانتداب حوالي 865 قرية عربية، وكان سكانها من الفلاحين يشكلون حوالي 70% من سكان فلسطين. وبالرغم من زيادة عدد الفلاحين إلا أن نسبتهم انخفضت نتيجة لازدياد عدد سكان المدن. لكن ظل الفلاحون يشكلون أغلبية السكان حتى عام النكبة 1948، إذ بلغت نسبتهم حوالي 65% من عرب فلسطين.

وعلى العموم، لم تختلف الأحوال في اسدود عما كانت عليه في باقي قرى فلسطين. لم تشهد اسدود ملكيات كبيرة من الأراضي الزراعية مثل بعض القرى التي كانت جميع أراضيها ملكاُ لإقطاعي واحد أو إحدى العائلات التقليدية المتنفذة من سكان القدس أو يافا أو غزة.

كانت في اسدود حالة واحدة ربما تندرج تحت هذا النوع من الملكيات الكبيرة للأرض الزراعية ، وهي حالة الحاجة مُكَرًّم سليم أبو خضرة ، من غزه ، والتي كانت تملك حوالي 2500 دونم ولكنها موزعة في مناطق مختلفة من أراضي القرية ، مثل السلاق، لزقه ، سكرير، واللحامية. وكان عدد من العائلات تقوم بزراعتها مناصفة ، وبعد موسم الحصاد والدراس، يحضر مندوب (وكيل) من طرفها إلى الجرن (مكان درس الحبوب) ، ويأخذ نصيبها من المزارعين. وكان هناك جرن خاص لهؤلاء الفلاحين تعود ملكيته أيضاُ لمكرم أبو خضرة.

فيما عدا ذلك، فالملكية الزراعية في اسدود كانت صغيرة المساحة، وهناك عدد بسيط من أهلها يملك الواحد منهم ما بين 200 و 1000 دونماُ ، ومنهم علي أبو زينة، حسن أبو حمدة، إبراهيم علي حسن، سعيد أحمد إبراهيم، عبد الهادي وعبد الحافظ حميد، عبد العزيز عبد الهادي زقوت. وربما كان علي أبو زينة أكبر هؤلاء الملاكين ، إذ كان يملك 1200 دونماُ ، ومع ذلك فهذه الحيازة تعتبر ملكيات صغيرة إذا ما قورنت بعشرات الآلاف من الدونمات التي كان يملكها شخص واحد، أو عائلة واحدة، من عائلات القدس، وغزة، ونابلس، وجنين، والرملة (مثل عائلات الحسيني، وعبد الهادي، والتاجي، والغصين، والشوا ، وأبو خضره ، والعلمي) ، والتي كانت تتراوح ملكية العائلة الواحدة منها حوالي 40.000 إلى 60.000 دونماُ.

كان كثير من فلاحي اسدود يملكون ما بين 50 و 100 دونماُ ، لكن الغالبية كانت ملكيتها أقل من خمسين دونما، وهناك عائلات تملك أقل من 10 دونمات، وأخرى لا تملك غير مسكنها. وعلى العموم كان الفلاح نشيطا ومثابراُ وقادرا على القيام بمسؤولياته العائلية والاجتماعية ومصارعة الزمن في أحلك الظروف سواء بملكية أو بدونها.

مساحة أراضي اسدود حوالي 48 ألف دونم، منها حوالي 12 ألف دونم رمال مزروع معظمها بأشجار التين والعنب وقليل من أشجار الجميز. ومساحة الطرق والأودية حوالي ألف دونم، أما ملكية اليهود فكانت تقتصر على 4 بيارات برتقال مساحتها حوالي 1350 دونما لا غير.

إن متوسط ملكية العائلة أوالفرد في اسدود كانت أقل بكثير من متوسط الملكية في القرى المذكورة المجاوره. فمع أن مساحة الأرض كبيرة في اسدود إلا أن سكانها عددهم كبيراً ، وعليه ينبغي مراعاة نسبة السكان إلى مساحة الأرض. فلو أخذنا مثلاً قرية ياسور ، وأراضيها حوالي 16 ألف دونم وكان سكانها 1000 نسمة، وقرية بشيت التي كانت مساحتها 18 ألف دونم، وسكانها 1600 نسمة، وعرب سكرير التي كانت مساحة أراضيها 40 ألف دونم وسكانها 400 نسمة، وقرية برير التي كانت مساحة أراضيها 46 ألف دونم وسكانها ثلاثة آلاف نسمة. ويتضح من ذلك على أن الغالبية العظمى من الفلاحين في إسدود كانوا من صغار الفلاحين ذوي دخل محدود.

كانت الأراضي في العهد العثماني ملكا للسطان بحق الفتح ; يتصرف فيها كيف يشاء ، وكان الفلاحون يملكون بيوتهم والحواكير المحيطة بالقرية فقط ، أما الأرض الزراعية فيزرعها الفلاح دون أن يملكها. واستمر الأمر كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر. ففي الفترة ما بين عامي 1858 و 1876 ، أصدرت الدولة العثمانية عدة قوانين لتنظيم تسجيل الأراضي وتصفية نظام المشاع (الملكية الجماعية) بدعوى التحديث ، تحت ضغوط من الدول الأوربية لضمان حقوق الأفراد في التصرف بأملاكهم، والقضاء على الملكية الجماعية. وفي نفس الوقت توقعت الدولة زيادة دخلها المالي من فرض ضريبة مباشرة على الأملاك العقارية من زراعية وغيرها. لكن الواقع، جاء مخالفا للتوقعات. فالفلاح لم يكن قادرا على دفع رسوم تسجيل الأرض باسمه، كما أنه كان يتجنب التسجيل خشية من التجنيد الإجباري. هذه الظروف بوجه عام ساعدت على ظهور طبقة كبار الملاكين من الأعيان وكبار التجار الذين كان باستطاعتهم دفع التكاليف المترتبة على التسجيل. وهذا أيضا ساعد على ظهور فئة البرجوازية التجارية

وبالرغم من ذلك استمر العمل بنظام المشاع حتى نهاية القرن التاسع عشر، ولكن الأرض سجلت باسم الحمولة أو شيخها مع تحديد نصيب الأفراد على أن يكون موزعاُ بين مناطق مختلفة من أراضي القرية. كان الفلاح يعرف مجموع أملاكه لكنه لا يستطيع التصرف بالبيع أو الشراء في قطعة محددة جغرافياُ لأن موقعها يتغير من منطقة إلى أخرى كل بضع سنوات.

ظل الأمر كذلك حتى عام 1928 حين قامت حكومة الانتداب بتحديد الموارس (جمع مارس ، وهو شريط طويل وضيق من الأرض) وتسجيلها بشكل دائم دون حاجة لتغيير موقعها وأصبح للفلاح الحق في حرية التصرف بالبيع والشراء دون أية عراقيل قانونية.

وبالرغم من القوانين المجحفة والظروف القاسية التي صاحبتها والنتائج السلبية التي ترتبت عليها، فقد استطاع الفلاح بسبب ذكائه الطبيعي الذي يتميز به ، والغريزة الإنسانية في الكفاح من أجل البقاء ، أن يتخطى كل العقبات ، ويصمد أمام الرياح العاصفة. فأخذ يطور أساليبه الزراعية بالقليل من المال، وبالجهد البدني الذي يملكه ، قبل موجات الهجرة الصهيونية ، بعشرات السنين ، التي تدعي الفضل في تطويرها للزراعة في فلسطين. فبيارات الحمضيات كانت موجودة في السهل الساحلي منذ القرن الثامن عشر ، وزادت مساحتها وتحسنت نوعيتها في منتصف القرن التاسع عشر.

هذا التطور ينسحب على اسدود أيضاُ. فكثير من الرحالة الأجانب (أوربيين وأمريكيين) الذين تجولوا في فلسطين وزاروا اسدود قدموا صورة رائعة لازدهار الزراعة فيها بأنواعها ، وتغنى بعضهم بجمال حقول القمح. ومن أشهرهم جيمز فِن James Finn ، القنصل البريطاني بالقدس، والذي قام بجولة في جنوب فلسطين في ربيع عام 1849 ، فوصل إسدود في 3 أيار \ مايو من العام نفسه. وبعد أن امتدح مستوى الزراعة في السهل الساحلي بشكل عام قال عن الزراعة في إسدود أنه لم يشاهد أي مكان في فلسطين يصل مستواه الزراعي إلى المستوى الذي شاهده في إسدود من زراعة الحبوب ، وشجر الزيتون ، وبساتين الفاكهة. ثم أضاف قائلا: "إن الحقول الزراعية في اسدود، لا تقل بأي حال من الأحوال عن مثيلاتها في مزارع انجلترا". أما وليم تومسون William Thomson ، الذي زار البلاد في عامي 1835 و 1859 ، فقد وصف مزارع القمح في إسدود خاصة، وفي السهل الساحلي الجنوبي عامة، وصفاُ شاعرياُ بلاغياُ بقوله أنها "كأمواج لا نهاية لها في محيط من سهول القمح". وهكذا فالسهل الساحلي في فلسطين بين يافا وغزة عرف الزراعة المنوعة من حبوب وفاكهة وخضار منذ أواسط القرن التاسع عشر.

وفي مايو من عام 1863، زار إسدود عالم جغرافي فرنسي اسمه فكتورغيران Victor Guerin قادما إليها من قرية برقه ، الساعة الحادية عشرة وخمسة وأربعين دقيقة صباحا ، فوصف مدخلها "بشارع واسع ، منظره جميل ، على جانبيه صريف من الصبّار بثماره ذات الزهرة الصفراء ، وهو عبارة عن سياج لحواكير تتشابك بداخلها أغصان أشجار الحمضيات والرمان ، والزيتون ، وتتخللها أشجار النخيل الباسقة".

واضح من هذا الوصف أن اسدود ، كغيرها من قرى الساحل ، كانت تزرع الفواكه ومنها الحمضيات قبل هجرة اليهود الصهاينة إلى فلسطين. كما يستفاد من مشاهدات الرحالة الآخرين بأن الزراعة في اسدود كانت متقدمة جدا ، تضاهي الزراعة في دول أوربا. ولم تقتصر على زراعة الحبوب بل شملت زراعة الفواكه والخضار.

كما وصف "جيمز فن" سكان إسدود بأنهم طوال القامة ، يتمتعون بصحة جيدة ، وملابس نظيفة ناصعة البياض ، لكنها خشنة الملمس، ولم يحملوا سلاحا سوى الخنجر.

وقد نصب خيامه في مكان قريب من خان اسدود تحت شجرة توت ضخمة بدأت ثمارها تنضج ، ثم وصف أزهار أشجار الرمان ، وأزهار الصبّار الصفراء ، وأشجار النخيل ، ثم وصف مبنى الخان الجميل الذي تمتع بمركز هام على طريق مصر وسوريا ولكنه وجده شبه خراب قد أصابه الدمار، إذ بدا الأهالي يأخذون حجارته لاستعمالها في بناء بيوتهم.

الفلاح والأرض والمحاصيل

تقع اسدود في السهل الساحلي الفلسطيني والذي يمتد من الناقورة شمالا حتى رفح جنوبا. ويلعب المناخ دوراُ رئيساُ في أحوال الزراعة. فكمية الأمطار ودرجة الحرارة والرياح والندى لها أهميتها في حياة الفلاح ، يترقبها ويراقبها طيلة العام لأن زراعنه تعتمد عليها أولا ، وعلى عملة ثانيا.

كانت أدوات الفلاح الزراعية بدائية وبسيطة في معظمها وربما وصفها بعض الرحالة بأنها لم تتغير كثيراُ عما كانت عليه منذ مئات السنين. كان الفلاح يعتمد على محراث خشبي في أسفله قطعة من الحديد تعرف ب "الحسيم" وهو على شكل مثلث رأسه مدبب لشق التربة.

والمحراث يجره جمل ، أو حمار قوي ، أو بغل ، أو بقرتان ، أو ثور وبقرة ، على رقبتيهما نير يربط المحراث في منتصفه بحبل قوي. وأما المحراث الذي يجره الجمل أو البغل فهو بدون نير.

ينتظر الفلاح مطرة الموسم وغالبا ما تكون في أواخر ايلول \ سبتمبر أو تشرين أول \ اكتوبر فيبذرحبوب القمح أو الشعير ثم يحرث الأرض ليغطي البذور بالتربة حماية من العصافير ولكي تحتفظ التربة بمياه المطر اللازم لنمو بذور النبات. والبذار ليس عملية سهلة ، فلا يستطيع كل حراث إتقانها ، إذ يجب توزيع الحبوب توزيعا متناسقا بحيث لا تكون هناك بقعة غزيرة وأخرى خفيفة. لذلك يقوم الحراث المتخصص بتقسيم المارس إلى معاني (والمعناة طولها حوالي 50 خطوة وعرضها عشرة) ليسهل عليه بذرها جيدا. كما يجب التنسيق بين مساحة الأرض المبذورة والوقت اللازم لحراثتها قبل غروب الشمس، لأنه لو تركت الأرض المبذورة دون حراثه، يخشى الفلاح أن تأكلها الطيور أو تجرفها مياه الأمطار ليلا أو صباح اليوم التالي. هذا المحراث يشق الأرض بعمق 10 إلى 15 سنتمتراُ.

كمية الأمطار في شهري تشرين أول وتشرين ثاني (أكتوبر و نوفمبر) ضرورية جدا لنمو البذور ، ثم أمطار شهري كانون أول وكانون ثاني (ديسمبر ويناير) ضرورية لنمو النباتات. وهنا يبدأ "التعشيب" أي التقاط الأعشاب من حقول القمح حتى لا تشاركه الغذاء فتعيق نموه وتضعفه. وتساهم النساء والأولاد والبنات في مرحلة التعشيب. وحين تبدأ سنابل القمح تنضج قليلاُ لكنها لا تزال خضراء ، يتم عمل الفريكة منها ، وذلك بخلع بعض نباتات القمح وعمل حزمات منها تشوى سنابلها على لهب النار ، ثم يتم فركها وتجفيفها وتخزينها لاستعمالها في فصل الشتاء. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه كان على الفلاح أن يزود مالك الأرض بحاجته من الفريكه.

كانت الزراعة في فلسطين تعتمد في جوهرها على أمطار الشتاء ، وتنقسم إلى دورتين ، شتوية وصيفية. ففي الدورة الشتوية ، يزرع: قمح ، وشعير ، وعدس ، وكرسنة ، وجلبانة ، وحلبة ، وفول ، وحمص وغيرها من البقول والقطاني.

أما دورة الزراعة الصيفية ، فتشمل الذرة البيضاء ذات الحبة الصغيرة وتعرف بالذرة الهندية تمييزاُ لها عن ذرة الكوز (الذرة المصرية) والسمسم.

يقوم الفلاح بحراثة تمهيدية أولى وثانية في شهري شباط وآذار (فبراير ومارس) وبعض الفلاحين يحرثون مرة ثالثة للسمسم. ثم تبذر حبوب الذرة والسمسم في أواخر آذار وأوائل نيسان (إبريل). وهنا لابد من الإشارة إلى أن طريقة زراعة الذرة والسمسم تختلف عن القمح والشعير.

تنقع حبوب الذرة في محلول الجنزارة حفظاُ لها من الحشرات والآفات، ثم يقوم الحراث بوضع كمية من حبوب الذرة في حجرية (كيس من القماش مربوط بوسطه) لها جيب واسع ، ويقوم الحراث بوضع حبوب الذرة في "البوق"، المربوط بأعلى عود من البوص النازل مع ذراع المحراث خلف الحسيم لتنزل الحبوب في الخط الذي شقه الحسيم ثم يقوم كعب المحراث بتغطية الحبوب بالتربة. ويستعمل نفس الأسلوب مع السمسم ولكن بمهارة أكثر لصغر حبوبه.

ويجب أن نفهم لماذا يقوم الفلاح بعدد من الحراثة التمهيدية للزراعة الصيفية. فالهدف أولاُ هو قتل الأعشاب والنباتات الطفيلية والإستفادة منها كسماد طبيعي للتربة، وثانيا لإدخال أكبر كمية من المياه إلى باطن الأرض والإحتفاظ بهذه الرطوبة لدرجة تسمح بتوفير الماء اللازم للنبات حتى شهر أغسطس موعد قطف الذرة وإقتلاع نبات السمسم.

وكما يتضح ، إن الفلاح كان حريصا على هذه الدورة الزراعية (شتوية وصيفية) لادراكه بالفوائد المترتبة عليها كاختلاف استهلاك أنواع النباتات للمواد الكيماوية في التربة ، فتتحسن درجة خصوبتها ، كما يتخلص في نفس الوقت من الأعشاب الضارة بالمزروعات. ومن المعروف لدى الفلاح نتيجة للخبرة والتجربة بأن الشعير يزرع في أرض تكون تربتها مفككة لا تصلح لزراعة القمح الذي يحتاج إلى تربة أكثر تماسكا تساعد على الإحتفاظ بالرطوبة فيكون محصوله وفيرا ومجزيا. وبما أن مزروعات الدورة الصيفية تحتاج إلى عدة مرات من الحرث ، فإن ذلك يحسن من حالة التربة ، ويرفع من درجة خصوبتها. وبهذا ، يكون إنتاج مزروعات الدورة الشتوية غزيرا ومربحا . وزراعة القطاني (العدس، الفول، الحمص، البازيلا، والفاصوليا) يستفاد من جذورها في تهوية التربة وتزويدها بالنيتروجين. فحراثة الأرض وتقليبها يساعد على انتقال الغذاء من أسفل التربة إلى أعلاها. وهكذا ، فالفلاح كان دائما وأبداُ يعرف كيف يستغل أنواع التربة والظروف المناخية لتحسين إنتاج مرزوعاته.

وهناك أنواع أخرى من مزروعات الصيف غير الذرة والسمسم ، وهي الخضار والفاكهة البعلية ، مثل البندورة، الخيار، الكوسا، القثاء (الفقوس)، البطيخ، الشمام، القرع الأصفر، واليقطين.

تزرع بعض هذه النباتات في الحواكير القريبة من القرية ليسهل العناية بها واستعمالها اليومي للمنزل ، ولكن بعضها كالبطيخ والشمام والقثاء يحتاج إلى مساحات كبيرة ، فتزرع في الأراضي الزراعية. كانت هذه الزراعة بعلية تعتمد كلياً على رطوبة التربة وعلى الندى الذي يتكون ليلاً وصباحا بسبب الرطوبة. وفي الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، أخذ الفلاح يزرع بعض هذه الخضار معتمدا على الري ، إذا كانت أرضه قريبة من آبار المياه الأرتوازية بالمحاصصة مع صاحب البيارة. ونتيجة لذلك ازداد الإنتاج فأخذ يسوق الفائض في المدن القريبة مثل يافا أو في الأسواق المحلية والأسبوعية (مثل الجمعة في المجدل والفالوجه ، والأربعاء في اسدود). هذا التطور دفع بعض الفلاحين إلى شراء سيارات شحن لتصدير هذه الخضار إلى يافا والمجدل وغيرهما.

لابد من التنويه بالدور الهام الذي كانت تلعبه المرأة في حياة الفلاح بالقرية، فلم يقتصر دورها على البيت كإعداد الطعام ورعاية الأطفال بل تعداه إلى الحقل. فالعمل الدائم في مختلف النشاطات الزراعية من حرث وتعشيب وحصاد ودرس وغيرها، تطلب جهداُ جماعياُ من جميع أفراد الأسرة. فشاركت النساء والأبناء والبنات في القيام بأعمال أقل مشقة من غيرها ، مثل التعشيب، درس الحبوب، جني الفواكه كالتين والعنب، والخضار كالبندورة والخيار والفقوس، كما عملت في موسم قطف ثمار الحمضيات. أما عملها في البيت كإعداد الطعام لم يكن أمرا بسيطاُ كما هو اليوم. فعلى المرأة طحن الحبوب (قبل وجود المطاحن الحديثة) لإعداد الخبز في الطابون، وطهي الطعام على النار في الموقد، وجلب الماء في جرار الفخار على رأسها من آبار القرية التي تبعد أحيانا أكثر من 200 متر عن البيت. أما غسيل الملابس وفراش النوم ، فهذا عمل شاق تقوم المرأة به أسبوعياُ تقريباُ بيديها ، إلى جانب عدد من الأعمال اليومية كعلف الحيوانات، وتنظيف مكانها وكنس المنزل، ونقل الزبالة يومياُ إلى حاكورة قريبة تمهيدا لنقلها على الحيوانات إلى الأراضي التي يلزمها التسميد قبل موسم الشتاء.

**وعلى العموم فأهم المزروعات في قرية اسدود يمكن إجمالها فيما يلي:**

1. **الحبوب:** وأهمها القمح ، وكانت المساحات المزروعة به أكبر من غيرها لأنه كان الغذاء الرئيس للسكان ، ويليه في الأهمية الشعير. فإلى جانب استعماله محليا كان مطلوبا للتصدير إلى أوربا لصناعة البيرة والويسكي. أما الذرة ، فكانت تخلط مع القمح لعمل الخبز لفقراء الفلاحين. وبالنسبة للسمسم ، فكانت المساحات المزروعة به قليلة نسبيا ، لصعوبة العناية به ، وكان يصدر إلى الخارج ويعتبر مورداً مالياً هاماً للفلاح لارتفاع ثمنه.
2. **الأعلاف:** وقد اهتم الفلاح بزراعة أنواع أخرى من النباتات علفا للماشية **،** مثل الكرسنة ، الجلبانة ، البيكا ، **وأنواع أخرى يستعملها في غذائه** مثل العدس، الحمّص، الفول، البازيلا، الفاصولية. ومن الخضروات المنتشرة في اسدود: البندورة، الخيار، الكوسا، القرع، اليقطين، الملفوف، القرنبيط، الباذنجان، الملوخية، البامية، البصل، الثوم، الفجل، الجزر. علاوة على البطيخ والشمام والقثاء. بعض هذه الخضروات كان يزرع بعليا ، وبعضها أصبح يروى بمياه الآبار.
3. **أشجار الفاكهة:** أهمها **العنب ،** وكانت تكثر زراعته في منطقة الرمال الغربية والشمالية من اسدود، وبعض المناطق المحيطة بالقرية مثل: المعيصرة، أبو سلامة، اقديس، المقطنه، الدخله، و**التين** كان يزرع أيضاُ كالعنب في الأراضي الرملية مثل الدخله وأم نزيله، الزيق، الشادوف، الحاجر، وكان هناك قليل من الفواكه الأخرى تزرع في الحواكير للإستهلاك العائلي أو لسد حاجات سوق القرية الأسبوعي مثل: المشمش، اللوز، البرقوق، والتفاح.
4. **الزيتون:** وكانت أشجاره قليلة نسبياً ، وكان يزرع في حواكير الجرار، واقديس حيث يوجد كرم "زيتون العيله" ، والمقصود بذلك "عائلة الجودة". وعلى العموم كان بعضه يستعمل كبيسا وبعضه يعصر في معاصر القرية لاستخراج الزيت للاستهلاك المنزلي. وكان كثير من الناس يذهبون في موسم قطف الزيتون إلى مناطق الجبل واللد فيعملون في "جد" (إسقاط الثمار بالعصا) شجر الزيتون ويتقاضون أجرتهم "عينية" أي كمية من الزيتون يعودون بها إلى اسدود، فيكبسون بعضها (رصيص) ويعصرون الباقي زيتا، مؤونة العام كله. وكان بعض الأفراد يذهبون إلى قرى المناطق الجبلية ومعهم بعض الفخار والترمس يبيعونه أو يستبدلونه بالزيتون والقطين (التين المجفف) ويعودون بأحمالهم إلى إسدود. ومما يجدر ذكره ، أن الرحالة الأوربيين الذين زاروا إسدود في منتصف القرن التاسع عشر أشادوا بكثرة أشجار الزيتون وجودة إنتاجها، وإعجابهم بتنوع أشجار الفاكهة فيها.
5. **التبغ:** كانت زراعة التبغ مكلفة نظراً لارتفاع الضرائب عليها ، ولذلك سادت تجارة تهريب التبغ من القرى إلى المدن ، ولهذا كان الفلاحون يزرعونه في أماكن يصعب ملاحظتها كالحواكير المسيجة أو المحاطة بنبات الصبر. ومن الطريف حقاً ما ذكره أوربي كان مقيماُ في قرية أرطاس، بالقرب من بيت لحم، اسمه فيليب بولدن سبرجر Baldensperger Philip عن قصة مرافقته لقافلة من ستة جمال وستة رجال. كان رجال القافلة أربعة من اسدود واثنين من خارجها ، وكانت محملة بالتبغ لتهريبه إلى القدس وكيف نجح أحد أفرادها، أحمد جبر، من خداع مفتش تجارة التبغ بالمدينة حتى تمكن رفاقه من بيع حمولة القافلة لتجار في القدس سراُ في أغسطس من عام 1895. وذكر أسماء الرجال مع وصف دقيق لملامحهم وملابسهم وأسلحتهم وهم: الشريف محمد موسى رئيس المجموعة، ومساعده خليل إبراهيم وعمره 35عاماُ، أحمد جبر وعمره 28عاماُ، عثمان عبد الحي وعمره 40 عاماُ ، وأصله من غزة لكنه كان يعيش في إسدود ومتزوج من امرأتين ، فاطمة وحليمة. وكان هؤلاء الأربعة من إسدود أما الخامس ، عبد الله صالح فكان من قرية شويكه ، وكان عمره 30 عاماً ، والسادس اسماعيل علي ، وكان عمره 20عاما، فكان من قرية عين شمس (وهاتان القريتان تقعان بين بيت جبرين وبيت لحم). ويتضح من ذلك وجود زراعة التبغ في اسدود والقرى المجاورة ومنها ياسور وقطرة والمسمية ، بشكل محدود.
6. **الحمضيات**: كانت زراعة الحمضيات تشكل المحصول الرئيسي في السهل الساحلي منذ أواخر القرن التاسع عشر كالمصدر الأهم للنقد بسبب تصديره للخارج خاصة إلى أوربا. وقد اشتهر البرتقال اليافاوي وكان من أجود الأنواع الصالحة للتصدير لسماكة قشرته وتحمله وقتا طويلاُ مما جعله مرغوبا جدا في الأسواق الخارجية.

وكما ذكرنا أعلاه بأن أحد الرحالة الفرنسيين شاهد أشجار الحمضيات في اسدود عام 1863. وفي عهد الانتداب البريطاني انتشرت زراعته انتشاراُ واسعاُ في إسدود والمنطقة الجنوبية بشكل عام. وقد بلغ عدد بيارات الحمضيات في إسدود أكثر من 60 بيارة موزعة في جميع أنحاء القرية. ولما رأى الناس أزدهار تجارة البرتقال أخذوا يتسابقون في حفر الآبار وتركيب ماكينات ضخ المياه من تلك الآبار لري أشجار البرتقال بأنواعه. واضطر بعض الأشخاص الذين لا يملكون قطعاُ واسعة من الأرض تصلح لعمل بيارة ، لأن يستبدلوا قطع أراضيهم الموزعة في عدة مناطق وتجميعها في مكان واحد أو بيعها وشراء أرض مجاورة. وتتراوح مساحات البيارات من عشرة دونمات إلى 200 دونما، وكثير من أصحاب البيارات الصغيرة كانوا يشتركون في بابور ضخ الماء مع جيرانهم. استمر هذا الازدهار الاقتصادي طيلة فترة العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. وفي الأربعينات نظراُ للحرب العالمية الثانية، كسدت هذه التجارة لانعدام التصدير نظراُ لخطورة الملاحة في البحر المتوسط، فتناقص الاهتمام ببيارات البرتقال. فاستبدل كثير من الناس أشجار الحمضيات بزراعة الخضروات التي كانت تدر أرباحاُ أفضل من الحمضيات وتجارتها لسنوات قليلة قبل النكبة. وعلى العموم ، فإن حمى تأسيس بيارات البرتقال التي انتشرت بشكل مذهل لا شك أنها تركت آثارا على اقتصاديات القرية وأحوالها الاجتماعية. لقد زاد الطلب على الأيدي العاملة وتحسنت الأحوال المادية لعدد كبير من الأهالي فانعكس ذلك على تحسين ظروفهم الاجتماعية من مأكل وملبس ومسكن سواء في بيوتهم بالقرية أو بيوتهم الجديدة التي شيدوها في البيارات نفسها ليكونوا بالقرب من المصدر الرئيس لحياتهم الاقتصادية.

بيارات البرتقال في اسدود

وقد حاولت أقصى ما أستطيع أن تشمل القائمة أدناه جميع أصحاب البيارات في اسدود سواء كانوا من أهالي اسدود أو من خارجها، كما حاولت تقسيمها حسب موقعها الجغرافي بالنسبة للبلدة نفسها:

**أولا: بيارات في جنوب القرية على جانبي طريق غزة – يافا العام وهي:**

1. حسين صالح جودة (مختار الجودة)
2. علي حسين عيسى جودة
3. عائلة الحاج يوسف
4. عائلة طومان
5. عائلة الكرد (المشهور بالدبش)

**ثانيا: بيارات في الجنوب الغربي من اسدود وهي:**

1. الحاج عبد الرحمن محمود زقوت (مختار الزكاكتة)
2. الحاج ربيع محمد صالح
3. بيارة أوقاف إبراهيم المتبولي وسلمان الفارسي (وبموجب عقد إيجار مع إدارة الأوقاف ، قام حسين ابراهيم عوض الله ، وعبد الجواد عيسى عبد الواحد ، وحمودة محمد عبد الواحد ، وحسن عبد الهادي عبد الواحد بتشجير جزء منها بالحمضيات وزراعة الجزئ الآخر بالخضروات).

**ثالثا: بيارات في داخل مخطط القرية:**

1. أحمد ويوسف البيومي جودة (في حارة المصريين على طريق المدرسة)
2. محمد عبد الحميد حميد (في حارة المصريين) مختار الدعالسة (سابقا)
3. حسن محمد تمراز (أبو حمدة) (في حارة الزكاكتة – بئر ماء فقط)
4. حسن علي غبن (حارة المناعمة – على طريق غزة – يافا العام)
5. بيارة الجودة (ملك عام للحمولة ، في حارة الجودة)

هذه الآبار كانت المورد الأساسي لتزويد السكان بالماء اللازم لحياتهم اليومية ولحيواناتهم.

رقم 1 و 5 كان بهما أشجار حمضيات ، رقم 4 بها زراعة خضار.

**رابعا: بيارات تقع في الشرق من اسدود**

1. عبد العزيز عبد الهادي (حسنة) – مختار الزكاكتة (سابقا)
2. عبد الهادي حميد (مختار الدعالسة) وأخوه عبد الحافظ حميد
3. سلمان أبو شمله – (ملحق بها مطحنة جبوب)
4. حسين الحاج يونس
5. حسن محمد تمراز (أبو حمدة)
6. محمد عبد الحي زقوت
7. محمود صالح طه
8. عبد الحميد طافش (أبو ذياب قروع) شمالي جرن الجودة
9. أحمد عباس وإخوانه
10. محمد وعبد الرحمن قطايف
11. مطلق طافش
12. الدهشان
13. إبراهيم طقش – قريب من جسسر البطاني الغربي
14. إبراهيم حقي (أبو المعزة) من المجدل

الأرقام 8-13 تقع على الطريق العام بين اسدود والبطاني الغربي والشرقي

**خامسا: بيارات تقع في الجنوب الشرقي بين اسدود وبيت دراس**

1. علي حسن أبو زينه
2. أحمد وعبد الرازق السباخي
3. شفيق عبد الهادي (ضابط بوليس من عرابة قضاء جنين)
4. كمال بدر (أبو الطاهر) مدير إدارة الأراضي والضرائب بغزة (من الخليل)
5. أولاد إبراهيم عيسى جودة (أحمد ومحمد وعبد العزيز وخليل)
6. حسين عبد الواحد الحنفي جودة وابن أخيه محمد حسن الحنفي
7. أبو جبارة (بيت دجن – يافا)
8. مصطفى العيسوي (يافا)

**سادسا: بيارات في الشمال الشرقي من اسدود**

1. الشيخ محمود الهليس جودة
2. إبراهيم الحاج وأخوته حسن وعلي
3. موسى عطية حماد
4. محمد أحمد الددح
5. أولاد درويش جودة (عبد الجواد واخوته)
6. سليم هرون وإخوته
7. محمد عبد الغني وأولاد أخيه (عبد الله، عبد الهادي، وعبد الجواد)
8. عبد الهادي الحنفي جوده
9. سرحان إنعيم
10. أولاد عودة هرون (إسماعيل وأولاد أخيه)
11. جبر وجابر عبد الله شحادة جودة
12. أولاد تمراز (أحمد خليل، عبد الرحمن أحمد، محمد يوسف)
13. محمد البطراوي (قرب وادي برقه)

تقع معظم هذه البيارات على جانبي طريق اسدود – برقه

**سابعا: بيارات في الشمال من القرية على جانبي طريق غزة – يافا العام.**

1. إبراهيم علي حسن
2. عاشور وعبد الهادي أبو سلوم
3. خالد محمد كساب غربي الطريق العام
4. محمد وعبد الله حسن زقوت
5. أحمد عبد الجواد البيومي
6. محمد وصالح سليم البيومي
7. عطية عبد الجواد البيومي شرقي الطريق العام (وادي العسل)
8. أحمد إبراهيم البيومي جودة
9. خميس عبد الرحمن البيومي
10. أحمد وحسن وعمر البيومي (طهبوب)
11. عبد المجيد ويوسف مصطفى قفة
12. الحاج أحمد شعبان (يافا)
13. الحاج محمد أبو لبن (يافا)
14. حسن عرفة (يافا)
15. مصطفى العيسوي (يافا)
16. حسن المفتي (يافا)
17. إبراهيم عطوان وإخوانه

ومن أكبر هذه البيارات مساحة بيارة علي أبو زينة ، بيارة حسن أبو حمدة ، وبيارة عبد الهادي وعبد الحافظ حميد. أما بيارة عبد العزيز عبد الهادي فقد اقتلعت منها أشجار البرتقال في الأربعينات، وبيعت قطع عديدة منها اقيمت عليها دكاكين ومقهى كتوع وبعض البيوت، والباقي كان يزرع خضاراُ. وحدث نفس الشيء في بيارة الجودة ، فاقتلعت أشجار البرتقال وزرعت الخضروات ، وبيعت قطع منها أقيمت عليها مساكن.

ومن أجل إعطاء صورة كاملة لزراعة الحمضيات في اسدود، فقد كانت هناك ثلاث أو أربع بيارات لليهود في سكرير ، التي تبعد عن اسدود شمالا بحوالي 7 كيلو مترات ، وأصحابها هم بوكسر، سوركوف ، ماير. ومجموع مساحتها حوالي 1350 دونما وقد تأسست هذه البيارات على أراضي اسدود في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن العشرين. وخلال ثورة فلسطين الكبرى (1936-1939) ، هاجمها ثوار اسدود والقرى المجاورة وخربوا أجزاء كبيرة منها واقتلعوا بعض أشجارها ، كما سيطر عليها المناضلون من شباب اسدود في حرب 1947/1948 وباعوا محصول البرتقال لتجار الحمضيات من يافا ، واشتروا به سلاحا وذخيرة للدفاع عن الوطن. وكان هؤلاء المناضلون ينقسمون إلى مجموعتين ، الأولى يرأسها خالد محمد كساب من الدعالسة ، والثانية يتزعمها علي حسن موسى وخالد حسن النجار من الجودة.

والجدير بالذكر أن عدة موارس من أراضي أم العشوش احتفظ بها أصحابها ورفضوا بيعها بالرغم من الإغراءات أحياناُ والمضايقات أحياناُ أخرى.

وإن بعض هذه الأراضي كانت موارس قليلة المساحة (متوسط 5 دونمات) للمارس وتقع في داخل البيارة مثل مارس عطوان عطوان في داخل بيارة بوكسر، ومارس جمعة يوسف جودة (البربار) في وسط بيارة سوركوف ، ومارس حسن أحمد النجار ملاصقاُ لسياج بيارة بوكسير ومتعامداُ مع جزء من بيارة ماير. هذه حالات على سبيل المثال لا الحصر. وبلا شك هناك حالات أخرى مشابهة.

مسميات الأراضي

اعتاد الفلاحون في جميع القرى على إطلاق أسماء خاصة للأراضي الزراعية في قراهم ليسهل التعرف عليها، وبعض هذه الأسماء تعود إلى نوع التربة أو موقعها الجغرافي، أو ما يزرع بها، أو نسبة إلى شخص محدد، أو حادث وقع بها.

وسار أهل اسدود على هذا المنوال ، وكانت جميع الأراضي الزراعية والحواكير لها أسماء تعرف بها. بعض هذه القطع تعود ملكيتها إلى حمولة معينة، وبعضها تشترك في ملكيتها أكثر من حمولة، وفي حالات قليلة تنفرد عائلة واحدة من الحمولة في ملكية قطعة أرض معينة، مثلا وادي العسل تعود ملكية أراضيه لعائلة البيومي من حمولة الجوده.

وفيما يلي قائمة بأسماء هذه الأراضي حسب موقعها الجغرافي بالنسبة للقرية، مع محاولة تفسير بعض المسميات قدر المستطاع.

**أولا: الحواكير المحيطة بالقرية من جميع النواحي:**

1. **الرأس**: وهو موقع إسدود القديمة منذ أيام الكنعانيين والفلسطينين. هذه الحواكير تملكها حمولة الزكاكتة ويزرع بها شجر الزيتون والفاكهة والخضروات البعلية للإستهلاك العائلي. يكثر بها الصبر ويستعمل كسياج للحواكير، كما تؤكل ثماره.
2. **الجرار**: في الشمال وتعود ملكيته لحمولة الجودة ويزرع به الزيتون بشكل رئيسي، وخضروات بعلية لاستعمال العائلة. وينتشر به نبات الصبر المستعمل سياجا لفصل الحواكير عن بعضها. ويستفاد من ثماره صيفاُ. وبجواره حواكير الكشفه والمقصر.
3. **المقطنة وأقديس** في الجنوب الشرقي يشترك فيها المناعمة والجودة والدعالسة. وجزء منها على طريق بيت دراس يسمى زيتون العيلة ، والمقصود بالعيلة حمولة الجودة. كانت هذه الحواكير للعنب والتين واللوز والمشمش وأخيرا زرع بها برقوق وخوخ في الاربعينات.
4. **المعيصرة وأبو سلامة** وهي في الجنوب الغربي من القرية وبها يزرع العنب والتين والمشمش واللوز وقليل من شجر الزيتون ، ويشترك في ملكيتها معظم الحمائل. أجزاء منها أرض زراعية للقمح والشعير.
5. **بركة الخان**: في الجنوب الغربي من القرية وبالتحديد إلى الغرب من مقامات المتبولي وسلمان الفارسي. وسميت بذلك نسبة إلى خان إسدود المشهور الذي كان عبارة عن استراحة للمسافرين على طريق مصر – الشام لقرون طويلة حتى أصابه الدمار في القرن التاسع عشر. تعود ملكيتها لمزارعين من حمولة الزكاكته والمناعمه. وتزرع بعد أن تجف منها مياه الشتاء بالخضروات البعلية مثل البندورة والخيار والبامية. أرضها خصبة. وفي السنوات الأولى بعد الاحتلال البريطاني حفر الخندق المشهور في إسدود ليسحب الماء من بركة الخان ، حفاظا على سكة الحديد ولمكافحة الملاريا. وكان الخندق يمر من شرقي القرية مخترقا بيارة حسن غبن وبيارة الجودة وحواكير الجرار حتى ينتهي الماء إلى بركة الفران في شمال حواكير الجرار.
6. **بركة الفران**: وتعود ملكيتها لأفراد من الجودة وأرضها طينية خصبة. تزرع بعد جفاف المياه منها بالخضروات المتأخرة في انتاجها كالبندورة والبامية والخيار. والخيار التشريني فيها كان مطلوبا جدا ويباع في أسواق يافا بأسعار مرتفعة.
7. **الحراش (الأحراج):** غابة واسعة زرعتها الحكومة بعد مد سكة الحديد لحمايتها من زحف الرمال، في الشمال الغربي من إسدود. إلى الشرق منها كانت بعض كروم العنب والتين وجميزات سلقط

**أما أسماء الأراضي الزراعية فهي:**

**أولا: الأراضي الواقعة في جنوب اسدود:**

أبو رصاص ، والمعيصرة ، وأبو جهم وهي نسبة إلى مقام أبو جهم بين حمامة واسدود، وأبو سلامة وهي ظهور مرتفعة وحولها أرض منبسطة، تشبه سنام الجمل التي كان الناس يلفظونها سلامة الجمل، أما السلاق فمعظم أراضيه تملكها مكرم أبو خضرة ، وتزرع بالحبوب وجزء منه مزروع بالزيتون لأفراد من القرية.

**ثانيا: الأراضي الواقعة في الجنوب الشرقي من البلدة:**

المقطنة، اقديس، الحدبة، الفرش، غياضة.

المقطنة والحدبة أرضها ذات تربة لا تصلح لزراعة الحبوب لأنها مكونة من حبيبات تعرف بالحثرور (صخورمفتته على مر العصور). ولذلك كانت تجود فيها كروم العنب والتين ، وربما اسم المقطنه يعود إلى مكان عمل القطين (التين المجفف).

أما الفرش ، فهي أرض منبسطة كالفرش ، ومن هنا جاءت تسميتها ، وتربتها خصبة جداً ، وتقغ بين بيت دراس واسدود ، ويشترك في ملكيتها الزكاكتة والجوده ، وبها بعض بيارات البرتقال.

**ثالثا: أراضي في الشرق من البلدة:**

الفروخية، لزقه، وهذه الأخيرة هي أقصى أراضي اسدود شرقا وهي إلى الشرق من وادي إسدود بجوار جسر البطاني، واسمها لزقه لأن تربتها طينية حمراء يصعب حراثتها. أمّا الفروخية فهي أرض زراعية خصبة معظم ملاكي هذه الأراضي من الدعالسة. أما لزقه فكان معظمها مملوك لمكرم أبو خضرة.

**رابعا: أراضي في الشمال الشرقي وهي:**

الرسم والملاط والحمر، الرسم أرض منبسطة وتربته خصبه للقمح معظمه ملك للجودة والجزء الغربي منه بيارات عبد الغني وهرون والحنفي ودرويش. أما الحُمُر فتربته تميل إلى الحمرة ، وهي طينية خصبه تزرع بالحبوب وخاصة القمح على يمين الطريق إلى قرية برقه.

وأرض الجرف تقع أيضا على طريق برقه ، وتربته خصبة صالحة لزراعة الحبوب. ويشترك في ملكيتها فلاحون من حمائل مختلفة ، واسمها من موقعها على حافة وادي برقة.

**خامسا: أراضي في شمال القرية وهي:**

الأراضي الزراعية الواقعة في الجهة الشمالية وتشكل الجزء الأكبر من مساحة أراضي اسدود. وتمتد شمالا حتى أراضي يبنا وعرب أبو سويرح وتتاخم أراضي قرية بشيت كما أنها تحيط بأراضي برقة من الغرب. والأجزاء الغربية من هذه الأراضي يحاذي سفوح الرمال التي يزرع بها العنب والتين وتمتد غربا إلى شاطئ البحر وإلى النبي يونس.

أهم هذه الأراضي: الثرايد، وادي الدوح، الحوض الشرقي والغربي، وادي العسل، الجميزة، اللحامية، أم العشوش، الدخله، ابطين غزال، أم انزيله، الزرنوق، الزيق، الشادوف، أم سعدة، أم الخرفان، أبو فاخرة، الحاجر، الباصولة، بركة السوس.وتعتبر هذه السهول من أخصب الأراضي وكانت تزرع فيها الحبوب من قمح وشعير وذرة وسمسم ، وقامت بها أعداد كبيرة من بيارات البرتقال.

ذكر الرحالة الأوروبيون أنه كان في اسدود مناحل وربما من هنا جاء اسم وادي العسل. أما أراضي الجميزه ، فغالباً ما تعود تسميتها بذلك إلى وجود شجرة الجميزة الضخمة على الظهرة ، والتي ذكرها القنصل البريطاني في القدس ، جيمس فِن ، James Finn ، في رحلته التي قام بها في السهل الساحلي ، في مايو \ أيار 1849 م. وفي طريقه من يبنا إلى اسدود، استراح بعد ساعة من السير تحت شجرة جميز معمرة ضخمة ، ثم استأنف سفره ساعة أخرى فوصل إلى اسدود ونصب خيامه تحت شجرة توت بالقرب من خان اسدود. ففي الغالب أن وجود شجرة الجميز في منتصف القرن التاسع عشر في ذلك المكان كان سبباً في تسمية هذه الأرض بالجميزة. وهي أرض خصبه ملك للجودة. أما الحوض فهو أرض منخفضة كالحوض وخصبة. أم العشوش اسمها، في الغالب يعود إلى وجود أعشاش للطيور في شجيرات الحراز الموجودة بكثرة هناك قبل استصلاحها لزراعة الحبوب. وبها عدد من بيارات اليهود التي تحدثنا عنها سابقا.

اللحامية تقع غرب محطة سكرير للقطار بين بيارة حسن عرفة وبيارة بوكسر، تربتها رملية لذلك كانت تزرع بالشعير والبطيخ والشمام ومعظمها تملكه مكرم أبو خضرة.

أما الثرايد ، ربما سميت كذلك لأن تربتها مفتتة كالثريد تسمح بامتصاص مياه المطر والاحتفاظ بها ، ولهذا كانت تسود بها زراعة الخضروات البعلية المبكرة كالبندوره. وتقغ إلى الشرق من محطة اسدود وجنوب أراضي وادي العسل ، ويفصل بينهما الوادي نفسه. وهي أرض خصبة جدا كان يزرع بها القمح أيضاً.

إلى الغرب من محطة اسدود ، تقع أرض الدخلة ومعظمها مشجرة بكروم العنب والتين ، ويع جزء منها في الرمال. فأحيانا تكون قطعة الأرض مشتركة بين الأرض الطينية والكثبان الرملية. وإنتاجها من التين له شهرة واسعة ، وأهم أنواعه الموازي ، الأسود ، الأخضر ونوع لونه يميل إلى الحمرة. وهذا الشريط الرملي يمتد شمالا حتى الزيق وأم إنزيله وسكرير، وهي مشهورة بالعنب والتين. وكثيراً ما كان يصاب أصحاب الكروم بالملاريا نظرا لوجود بعوضة الملاريا بالمياه الراكده في نهاية نهر سكرير. ولكن في السنوات الأخيرة من الأربعينات تنبهت الحكومة وأخذت ترش المبيدات للقضاء على بعوضة الملاريا. أما الزرنوق فالاسم غالبا مشتق من قربها من نهر سكرير ، لأن الزرنوق بالعربية يعني النهر الصغير. ومعظم هذه أراضي هذا الشريط الرملي الممتد من الدخله إلى أم أنزيله يملكه أفراد من المناعمة والزكاكته ، خاصة من حارة المصريين.

**سادسا: الأراضي الرملية:**

تقع إلى الغرب من القرية وتمتد ما بين سكرير شمالا (النبي يونس) وأراضي حمامه جنوباُ ، طولها حوالي 7 كم وعرضها 3-4 كم. معظم هذه المساحة كثبان رملية لا يستفاد منها. أما المساحات المنخفضة الواقعة بين الكثبان فكانت تزرع بأشجار العنب والتين، وكان اصحابها يقيمون بها أشهر الصيف في أخصاص مبنية من الحلفا والبوص وعيدان العنب. وإن تأثير هواء البحر مع أشعة الشمس صيفا على عناقيد العنب كانت تكسب ثماره طعما ولونا مميزا، جعله يحتل شهرة كبيرة في أسواق يافا خاصة الجوزاني بحبته الطويلة. معظم هذه الكروم يملكها أفراد من حمولتي المناعمة والزكاكته ، وخاصة من حارة المصريين.

الأرض والضرائب

كان قانون الأراضي الزراعية في العهد العثماني مجحفا بحق الفلاحين. فبموجب هذا القانون كان للفلاح حق الانتفاع بالأرض فقط ، وليس له حق التصرف فيها. ومع ذلك كان عليه أن يدفع ضريبة للدولة مقابل فلاحته للأرض. كانت الدولة هي المالك للارض بدعوى "حق الفتح" وأن حق الانتفاع للفلاح في مفهوم الدولة – هو "هبة ومنه من السلطان ، يمنحها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء.

وقد صدرت عدة قوانين متتالية، كان آخرها في عام 1912 ، ألغيت بموجبها معظم هذه المحظورات، وأصبح الحائز للأرض شبه مالك لها سوى بعض الاستثناءات المحدودة. وبالرغم من ذلك ، ظلت ملكية الارض في فلسطين وخاصة في السهل الساحلي " ملكية مشاع." وحسب هذا النظام ، يملك الفلاح حصة دون تحديد المكان بل ينتقل من منطقة إلى أخرى كل بضع سنوات.

ولقد اختلفت الآراء حول مزايا هذا النظام ومساوئه. ففي حين يرى البعض أنه حافظ على بقاء الأرض في أيدي الحمولة، يرى الطرف الآخر أن هذا النظام ألغي الحافز الشخصي لتحسين الأرض وتطوير إنتاجها. ومن محاسنه أنه حال دون تفتيت المساحات الكبيرة، لكنه في نفس الوقت كان عائقا أمام زراعة أشجار الفاكهة وخاصة الحمضيات. ومع أنه حافظ على تقوية روح الجماعة ، لكنه كان عاملاُ في إثارة المشاحنات بين كبار الملاك والفلاحين المنتفعين بالأرض. وأخيراُ يرى المدافعون عن نظام "المشاع" أنه قد عرقل ، بل حال دون إتمام عمليات بيع الأراضي الزراعية إلى منظمات الحركة الصهيونية والتي كان هدفها إقامة الوطن اليهودي في فلسطين. هذا الرأي ساد في أوساط المثقفين في أعقاب النكبة. وبالرغم من وجاهته لم يكن في أذهان الناس ومعتقداتهم آنذاك.

وعلى العموم شرعت الدولة العثمانية بإلغاء نظام ملكية المشاع قبيل الحرب العالمية الأولى. وفي عهد حكومة الانتداب البريطاني صدر قانون تسوية الأراضي في عام 1928 ، الذي خوّل مأمور التسوية بتسجيل الأرض للمالكين أو المنتفعين رسمياً في الطابو (دائرة تسجيل الأراضي) ، إذ رأي في ذلك التسجيل منفعة عامة.

وأبقت حكومة الانتداب على الملكية الجماعية للأماكن ذات المنافع المشتركة لسكان القرية كالمراعي ، والأحراج ، الأودية ، الطرق العامة ، الجرون ، المقابر ، الساحات العامة والأسواق العامة.

إلى جانب ذلك ، كان الفلاح يملك منزله في القرية والحاكورة القريبة منها والتي كانت لاستعماله العائلي يزرع فيها بعض الخضروات وأشجار الفاكهة. لكن بغض النظر عن نوع الملكية ، كانت جميع الأراضي خاضعة للضريبة.

وكانت أشد أنواع الضرائب وطأة على الفلاح ضريبة العشر أي 10% على الأرض الزراعية المعروفة "بالميري". وقد كانت تصل أحيانا إلى 20% أو أكثر ، حسب جشع الملتزم ونسبة الأرباح التي يريد تحقيقها لنفسه. وهكذا ، لم تكن المشكلة في الضرائب إنما في أسلوب تحصيلها وخاصة عن طريق الالتزام (الضمان) وهي أشبه ما تكون بعملية بيع وشراء بين الملتزم والحكومة ، يحاول فيها الملتزم أن يحصل أكبرضريبة ممكنة من الفلاح ليحقق أرباحاً طائلة لنفسه.

يقول "جيمز فن" أن الضرائب التي تحصل من الفلاح في عام 1858 20%، بينما قدرها كوندر Conder عام 1885 بحوالي 50% ، مما دفع بكثير من الفلاحين أن يهجروا قراهم وبيوتهم لتفادي دفع الضريبة الباهظة. وقد ذكر القنصل الأمريكي في تقريره إلى حكومته عام 1872، أن كثيرا من السكان هاجروا إلى مصر تهربا من دفع الضريبة. ونتيجة لذلك أصبحت آلاف الدونمات قاحلة كالصحراء.

ومن الضرائب أيضاُ ضريبة المسقفات ، أي البيوت ، وضريبة الأشجار المثمرة ، كالزيتون والفاكهة، وضريبة على الحيوانات ، وضريبة على ما يجلبه الفلاح لبيعه في سوق القرية ، وضريبة الطرق العامة ، وضريبة المعارف.

نتيجة لهذه الضرائب المتعددة والمجحفة بحق الفلاح ، تراكمت عليه الديون بعد أن عجز عن دفع الضريبة ، لارتفاع الفائدة التي بلغت أحيانا 25% أو 40-50% ، وبعض الرحالة الاوربيين الذين زاروا البلاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ذكروا أن الفائدة على الديون بلغت أحيانا ما بين 70-100% ، والنتيجة أن تقوم الدولة ببيع الأرض بالمزاد لتسديد الضرائب المتراكمة على الفلاحين. وهكذا ظهرت طبقة ملاك جدد من بين كبار المرابين التجار أو ما تعرف بالبورجوازية الصغيرة ، التي أخذت في الظهور لتنافس الإقطاعية التقليدية وكبار الملاكين.

وقد استمرت هذه الضرائب في السنوات العشر الأولى من عهد الانتداب البريطاني. ثم عدلت الحكومة القانون فنص على استبدال ضريبة الويركو والعشر بضريبة يدفعها المالك عن كل دونم من أرضه أو عقاراته مع مراعاة تصنيف الأراضي حسب استخدامها وإنتاجها. وفرضت ضريبة المواشي كالغنم والأبقار والجمال وكانت هذه في غاية القسوة. كما كانت هناك ضريبة الطرق يدفعها الفلاح مع أن الحكومة لم تهتم بطرق القرية أو الطرق بين القرى بعضها البعض. علاوة على ضريبة المعارف.

أما الجديد في هذا القانون فكانت الضرائب على المواد الاستهلاكية وخاصة المستورد منها. وحيث أن الفلاحين كانوا يشكلون حوالي 65% من عرب فلسطين، فقد كانوا أكثر المتضررين من هذه الضريبة التي بلغت أكثر من 150% على بعض السلع أحيانا.

وبالرغم من هذه الأعباء الضريبية التي أثقلت كاهل الفلاح ، فقد ظل صامداُ أمام رياحها العاتية. ولقد كلفت حكومة الانتداب في عامي 1931 و 1933 الخبير البريطاني ستريكلاند بدراسة أوضاع الفلاح الفلسطيني ، فأثنى هذا على مستوى الذكاء والمهارة الذي لمسه لدى الفلاحين من عرب فلسطين، وأكد أن باستطاعتهم، لو توفرت لهم الأسباب، تحقيق درجة عالية من التقدم والرفاهية لا تقل عما وصل إليه المزارعون في جنوب شرق أوربا. واقترح من أجل ذلك أن تقوم الحكومة بتوفير القروض اللازمة بفوائد بسيطة عوضاُ عن الفوائد المرتفعة جداُ (50-100%) والتي كان يدفعها الفلاحون للمرابين من أصحاب رؤوس الأموال وكبار التجار، وبذلك يتمكن الفلاحون من الوفاء بسداد ديونهم والعمل على تطوير أساليب الزراعة وتحسين ظروف حياتهم. ولكن ذهبت توصياته أدراج الرياح لأنها لم تتناسب والسياسة العامة للحكومة البريطانية في تحقيق المخطط الصهيوني.

الحصاد

بعد أن يمضي الفلاح معظم فصلي الخريف والشتاء في البذار والحرث والتعشيب، يجئ دور الحصاد في أواخر الربيع وأوائل الصيف. وكما كانت عمليتا البذار والحرث يدوية ، فالحصاد والدراس كانا يدويان أيضاُ لأن المكننة الزراعية (الزراعة الآلية) الحديثة لم يستطع الفلاح استعمالها لأسباب مادية وفنية ، فهي تحتاج إلى مساحات شاسعة من الأرض وإلى رأسمال ، وكلاهما غير متوفرين فمعظم الموارس قليلة المساحة ، وصغار الفلاحين ليس لديهم المال اللازم لتوفير آلات الحراثة والحصاد والدرس. وفي نفس الوقت لم تكن لدى الفلاحين الجمعيات التعاونية التي كان باستطاعتها التغلب على هذه المشاكل التي كانت تواجههم.

على العموم ، ظل الفلاح يمارس نشاطه الزراعي معتمداُ على أدوات الزراعة البدائية لمئات السنين بالرغم من التعب الجسماني والعوز المادي ، ولكنه كان سعيداُ يعيش في بيته ووطنه، وينام لياليه قرير العين.

كان موعد الحصاد يختلف من نبات إلى آخر، فمثلا العدس، الكرسنة ، الجلبانة تقلع باليد في أواخر نيسان (أبريل) بينما يحصد الشعير بعد منتصف أيار (مايو)، أما القمح فموعد حصاده من أواخر مايو (أيار) إلى منتصف يونيو (حزيران)، والذرة تقطف عرانيسها في آب / أغسطس في الصباح المبكر تجنباُ للزغبر الذي يتطاير مع حرارة الشمس وبسبب حكة في جلد الإنسان.

أما **أدوات الحصاد** فكانت بسيطة ، وهي السحليه (المنجل) والشنشره ، والأولى يستعملها الرجال والثانية للنساء. ولما كانت عملية الحصاد متعبة ومرهقه ويجب أن تتم بسرعة، كان الفلاح يستعين بالأيدي العاملة في القرية أو المعونة (الفزعة) من أقاربه. وكان الفلاح حريصاُ على الإنتهاء من الحصاد في منطقة ما مع غيره من الفلاحين في نفس الوقت حتى لا يتعرض زرعه للتلف أو النهب والسرقة سواء من الحيوان أو الإنسان ، لو تأخر في حصاده عن جيرانه.

يقوم الحصادون بقطع النبات وتركه وراءهم على شكل غمور ، أي أكوام صغيرة ، فتقوم النساء بتجميعها وحملها إلى الحلة (مكان تجميع الغمور). وبعدها يتم نقل القش على ظهور الجمال في شباك مصنوعة من الحبال خصيصا لهذا الغرض. وكان لبعض الفلاحين عربات تجرها البغال يستعملونها لنقل النبات المحصود إلى الجرن. وفي الطريق يجلس كثير من باعة الحلوى ، وهم من أصحاب الدكاكين لبيع بضاعتهم على المارة مقابل شيء من الحصاد. وكثيراً ما كان هؤلاء الباعة يستغلون صغار السن من أبناء الفلاحين. ولهذا ، كان الفلاح يحرص كثيراً على تجنبها.

كان الحصَّاد يتقاضى أجرته النوعية من المحصول الذي يحصده ، سواء في نهاية اليوم أو قمحاُ بعد الإنتهاء من عملية الدرس في الجرن. والكمية متعارف عليها في القرية ، وإن كانت تعتمد على مهارة الحصَّاد ونشاطه، وعلى كرم الفلاح وأخلاقه.

أما الذرة ، فموعد حصادها تموز / يوليو ، ويختلف حصادها عن القمح ، فلا فتقطع السيقان من أسفلها ، وإنما تقطف العرانيس من أعلاها ، وتوضع في سلال تحملها النساء اللواتي يتبعن الرجال. وغالباً ما تفرغ هذة السلال في اكياس كبيرة تلافياً لسقوط حبوب الذرة في الطريق ، ثم تنقل على ظهور الجمال إلى الجرن.

أما السمسم فيقلع نباته باليد قبل أن يجف تماماً وذلك خلال شهري آب وأيلول (أغسطس وسبتمبر). والسمسم يحتاج إلى جهد فائق ، سواء في زراعته أو حصاده ، وإلى مهارة ودراية في تحديد موعد الحصاد حتى لا تتساقط حبوبه على الأرض. إذ يحرص الفلاح على اقتلاع نبات السمسم حين يصفرّ لونه وقبل أن تيبس قرونه ويجمع في حزم (ربطات) وتنقل إلى الجرن بعناية ، حيث توضع واقفة لتكون أجراسها (قرونها التي تحتوي حبوب السمسم) في الأعلى. وكان يحرص الفلاح على النوم الجرن لحراسة المحصول حتى يجف وتبدأ الأجراس تتفتح. حينئذ يفرش الفلاح بساطاُ من خيش ثم يبدأ في تفريغ الأجراس من حبوبها بعناية وذلك بهز (نفض) ربطات السمسم بلطف لتنزل الحبوب ثم تجمع في أكياس استعداداً لتخزينها ثم لبيعها. وكانت أسعار السمسم مرتفعة ، ولهذا كان محصول السمسم مصدراً هاماً لدخل الفلاح.

الدراس

يكون الجُرْن في العادة مخصصا للحمولة أو لملاك كبير فمثلاُ كان جرن الدعالسة واقعاُ بين بيارة حميد والأسفلت. أما الجرون الغربية إلى الجنوب من المقبرة وإلى الشرق من المدرسة فكانت مقسومة بين الدعالسة والزكاكته، وجرن العطن للمناعمة ومكرم أبو خضرة. وكان كل فلاح يعرف قطعته من الجرن ويضع فيها حصاده استعداداُ للدراسة.

يفرش القش جميعه أو جزء منه يسهل التعامل معه على شكل مستدير يسمى "طرحه" يكون ارتفاعها قدمان أو ثلاثة ثم تربط 3 بقرات معا ، أو حمير وبغال وتبدأ تسير فوق الطرحة حتى تتلبد وينخفض ارتفاعها بعد تكسير القش ، وتليها مرحلة استعمال اللوح ، وهو من الخشب ، وعرضه حوالي مائة سنتمتراً وطولها حوالي مائة وخمسين سنتمتراً ، مثبت بأسفله عدد كبير (50 – 60) من الشناشر المصنوعة من الحديد ، لتقطيع سيقان القمح.

ويربط هذا اللوح بالنير المثبت على رقاب الحيوانات ، ويركب عليه أطفال تتراوح أعمارهم ما بين 12 إلى 15 سنة ، وكانوا يجدون متعة في ذلك أو يوضع حجر ثقيل لتسهيل عملية تقطيع القش بالشناشر إلى أن تصبح الطرحة ناعمة وتستقر الحبوب في أسفلها. وفي أثناء ذلك يتم تقليب الطرحة عدة مرات بالدقران لتسريع عملية التنعيم. ثم تجمع الطرحة في كوم كبير إعداداُ لمرحلة التذرية. وهنا يتحين الفلاح الفرصة المناسبة ليكون الريح مناسباُ للتذرية بحيث يتم فصل الحبوب عن التبن والقصل. وهذه العلمية تتم "بالمذراة" ، وهي مصنوعة من الخشب ، أما الدقران فهو من الحديد. التذرية فن تحتاج إلى مهارة حتى لا يطير التبن عند الجيران وحتى لا يختلط بالقصل فكل منهما له استعماله الخاص. التبن ناعم يستعمل غذاء للماشيه بعد خلطه بالأعلاف كالكرسنه والجلبانه أو الشعير.

أما القصل فيستعمل وقوداً للطابون أو يخلط مع الطين لسطوح المنازل. كما يخلط أيضاُ مع الطين في صناعة القوالب التي تجففها حرارة الشمس لاستعمالها في البناء ، وكذلك في الطين (لتلييس) طلاء الجدران من الخارج لحمايتها من الأمطار. ويكون استعمال القصل مماثلاً للرمل حين يخلط بالأسمنت لتقويته وليزيد من تماسكه في صناعة قوالب الأسمنت أو في طلاء الجدران وصبة السطح فوق الحديد المسلح.

أما الحبوب فتجمع بعد التذرية في كوم يسمى "صليبة القمح" ، ثم يبدأ الفلاح في قسمتها إذا كان له شركاء. وبعد ذلك ، يبعث الفلاح للحلاق والنجار والحصادين ليعطي كل واحد نصيبه المتفق عليه بدل خدماتهم خلال السنة ، وينقل الباقي إلى البيت لتخزينه في المطمورة أو الخابية الكبيرة المبنية في إحدى غرف البيت.

وكانت المطمورة حفرة عميقة في ساحة (حوش) البيت ، فتحتها العلوية ضيقة لكنها تتسع للرجل الذي يحتاج أن ينزل فيها (سواء حين حفرها أو حين تفريغها من القمح)، عمقها يتراوح بين 2-3 مترا ، وهي مخروطية الشكل يكون قطر فتحتها حوالي 75 سنتمتراً وتأخذ في الأتساع كلما تعمقت بحيث تصل إلى حوالي مترين أو أكثر في قعرها حسب عمقها. يقوم الفلاح بتبطين المطمورة بالقصل في أسفلها وجوانبها ، ثم تملأ بالقمح. وتقفل بحجر كبير مسطح ويوضع فوقه طبقة من الطين لإحكام إغلاقه. وعادة ما تكون فتحتها مرتفعة عن مستوى الأرض لمنع تسرب الماء إليها. يحرص الفلاح على أن يضع ما يحتاجه لغذاء العائلة من الحبوب في خابية حتى لا يتكرر فتح المطورة كثيراُ.

أما الذرة فتُدْرَس ليلاً اتقاءُ لتطاير الزغبر منها ، والذي كان يزعج الفلاح لأنه يسبب حكة في جلده وهو أيضاُ مؤذ للعيون. وفصل حبوب الذرة ليس صعباُ كحبوب القمح والشعير، لكنها عملية مزعجة على العموم. أما العراميط (العرانيس بعد فصل الحبوب عنها) فتستعمل وقوداُ.

وكانت حبوب الذرة تخلط مع القمح قبل أخذها إلى المطحنة بنسبة ثلثين من القمح وثلث من الذرة ، وأحيانا مناصفة لصنع الخبز للفلاحين متوسطي الحال. وكان هذا النوع من الخبز يصعب أكله إذا كان بارداً ، إلا إذا وضع في شوربة عدس أو شوربة مكونة من ماء مغلي به بعض البصل (ميّه وبصله).

أهم الموجودات في بيت الفلاح

وللفلاح أدوات كان يحتاجها في أنشطته الزراعية ، وغالباً لا يخلو منها في الغالب بيت كل فلاح ، وأهمها المحراث ، المنساس ، النير ، البوق ، الدقران ، المذراه ، لوح الدراس ، الطوريه ، الفأس ، المنكوشه ، الكزمه ، السحلية ، الشنشرة ، الرحل للجمل ، برذعة الحمار، شبكة الجمل للقش.

ومن أهم الحيوانات التي كان يملكها الفلاح في اسدود الجمل ، الأبقار ، الحمار ، الماعز، الأغنام.

وعلاوة على غرف النوم وأروقة الصيف ، يحتوي البيت على بايكة ومتبن ومدواد لأكل للحيوانات ، وخابية للقمح وأخرى للطحين، ومطمورة لتخزين الحبوب ، وسراج في البايكة ، وفانوس في غرف النوم للإنارة.

ومن الموجودات أيضاً موقدة للطبخ ، طابون للخبيز، لقان للعجين، طبق أو قدح للخبز، باطيه للجريشه، مقحار للطابون. ومنها أيضاً سل كبير للزباله، سبته (قرطله) للخضار والفاكهة، ومكنسة ناعمة مصنوعة من ليف النخيل للغرف ، ومكنسة خشنة من نبات النتش لساحة الدار، مجمرة كانون للتدفئة في الشتاء ، ومغرفة، قربة لخض الحليب ، وخوصه (سكين).

وللماء منها جرة ، عسليه ، زراويّه ، إبريق ، شربه وجميعها من الفخار.

وجرة أو تنكه لزيت الزيتون ، وطوس للسمنة والزبدة واللبن الرايب.

وللحبوب والطحين توجد طاحونة وغربال ومنخل،

أما الفراش فيشمل ألحفة ، وطراريح (جمع طراحة ، وهي الفرشة) ، وسائد ، وحصيرة ، وحامل في غرفة النوم لوضع الفراش عليه.

ولغسيل الملابس ، سطل لتسخين الماء ولجن من النحاس أو التوتيا لغسيل الملابس.

وفي المقعد وأحيانا في بعض البيوت ، لابد من وجود منقل للنار، ومجمرة ، وملقط ، ومحماسة القهوة ، وبكرج ، وركوة (غلاية) ، الهون ، عصا الهون ، صينية ، فناجين.

الصناعة

كانت اسدود كغيرها من قرى فلسطين يعمل أهلها بالزراعة. أما الصناعة فكانت تتركز في المدن. ولكن وجدت بعض الحرف اللازمة لخدمة الفلاح سواء في صناعة أدواته الزراعية أو إصلاحها ، وكذلك في توفير ما يلزمه في بيته. فمثلا كان هناك عدد من النجارين لصناعة المحاريث التي يعتمد عليها الفلاح في حراثة الأرض والأدوات اللازمة له مثل النير والمنساس ولوح الدراس والمذراة والدقران وأبواب البيوت والغرف. أما الأدوات الحديدية مثل الحسيم التي لا تتم عملية الحرث بدونه ، والدقران فهو مصنوع من الحديد، والطورية والفأس التي تعزق بها الأرض ، والمنكوشه التي ينكش بها حول الأشجار الصغيرة والنباتات لاقتلاع الأعشاب من حولها ، والمنساس لتنظيف الحسيم من الطين العالق به خاصة في جو ماطر. كل هذه الأدوات الزراعية المصنوعة من الحديد ، كان يقوم بصنعها الحدادون من النَوَر الذين كانوا يتجولون في القرى ويقيمون بها خاصة في موسم الحرث أو الحصاد لعملها أو تصليحها.

**أ- المعاصر**

قامت معاصر الزيتون في اسدود للحاجة إليها لعصر الزيتون الذي يقطفه الفلاح من أشجار الزيتون في القرية أو أجرته العينية من الزيتون التي جلبها معه من خارج اسدود . ومن أجل ذلك وجدت في اسدود عدة معاصر، وكانت تسمى " بَد " ، وهو عبارة عن رحى كبير من الحجر القوي الذي لا يتفتت كالصوان مثلاُ ، وتحته حجر آخر كبير على حافته مجرى ينساب فيها الزيت بعد طحنه أو عصره. وهذا البد يعمل بواسطة جمل مربوط بخشبة موصولة بالبد ويدور حوله. وكان في اسدود حوالي سبع معاصر، خمس منها في حارة الجودة وهي:

1. معصرة خميس عبد الكريم
2. معصرة عبد الله ومصطفى النجار
3. معصرة دار درويش (عبد الجواد وإخوانه)
4. معصرة عبد الحميد وخليل الشبلي
5. معصرة أحمد الحاج يوسف وأخوته عبد الله وموسى

أما المعصرتان الأخريان فإحداهما في الحارة الغربية (حارة الزكاكته) لصاحبها يوسف المصري ، والأخرى في حارة المناعمة لصاحبها عيسى خضر.

**ب- الأفران**

وربما نستطيع هنا إضافة صناعة الخبز في الأفران. ففي العادة كان هناك طابون في بيت كل فلاح تقريبا لعمل الخبز اللازم للعائلة، لكن دعت الحاجة إلى إنشاء أفران للخبيز للعائلات التي لا تستطيع توفير الوقود اللازم للطابون من القصل ، سواء كانوا من صغار الفلاحين أو ممن لا يعملون بالفلاحة مطلقا. ومن هؤلاء موظفي سكة الحديد والتليفونات والطرق والمدرسين والعاملين بمعسكرات الجيش وأصحاب الحرف الأخرى. لذلك أنشئت عدة أفران كان أولها في حارة المصريين لصاحبه أحمد أبو شبيكه (أبو حشكو). وثانيها فرن إلى الغرب من الجامع الكبير لصاحبه علي أبو الريش ، وفرن ثالث لصاحبه محمد أبو عرف، وفرن رابع في حارة الجودة لصاحبه عبد الحميد قاسم. وكما يظهر زاد عددها في السنوات الأخيرة لازدياد الحاجة والطلب عليها. وكانت هذه الأفران تعمل بالحطب أو الكيروسين.

**ج- المطاحن**

كان الفلاح يعتمد على الطاحونة اليدوية (الجروشة) لطحن الحبوب اللازمة سواء كانت قمحاُ أو ذرة لعمل الخبز، أو عدساُ وبقولاُ أخرى للطبخ. واستمرت هذه الوسيلة قروناُ. وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت في المدن المطاحن الآلية انتشرت في القرى الكبيرة. فأنشئت في غربي اسدود مطحنة لشخص من خارج القرية اختلف الرواة في اسمه بين ميخائيل وإلياس، وكانت بالقرب من الجرن الغربي، وظلت جدران المبنى قائمة حتى عام 1948.

وحيث أن صاحبها من خارج القرية ، فقد كلف الحاج قاسم شحتوت بإدارتها والإشراف عليها، وكان ابن أخيه محمد الأدعس يساعده في ذلك. وبعد عدة سنوات أنشئت مطحنة أخرى على شكل شركة مساهمة في بيارة سلمان أبو شمله وأخيه عبد القادر، وكان الشيخ موسى غبن من المشرفين عليها بعد أن توقف العمل بمطحنة بابور الجودة ، واستعاض هؤلاء عنها بالمساهمة في المطحنة الجديدة. وفي نفس الفترة (أوائل الأربعينات من القرن العشرين) أنشئت مطحنة أخرى لصاحبها محمد الأدعس ، بعد أن توقف العمل في المطحنة القديمة التي كان يشرف على إدارتها. وأقيمت هذه المطحنة على الطريق العام (الأسفلت) في شرق البلدة بجوار مصنع القرميد وبيارة حسن غبن.

واستمر العمل بهاتين المطحنتين حتى عام النكبة، وكانتا تقدمان خدمة عظيمة لأهل اسدود ، وخاصة للنساء اللواتي كن يقمن بهذا العمل الشاق على الطاحونة اليدوية. وقد استفاد أهالي القرى المجاورة كالبطاني وبيت دراس وبرقه وعرب أبو سويرح في طحن حبوبهم في هذه المطاحن.

**د- صيانة الآلات**

كما أن صيانة هذه المطاحن وماكينات البيارات استلزمت وجود من يقوم بهذه المهمة. وفعلاً كما يقال: الحاجة أم الاختراع. فبعد أن كان أصحاب البيارات يذهبون إلى المجدل أو يافا لإحضار ميكانيكي لإصلاحها، كلما دعت الحاجة، أصبح في إسدود ثلاثة أو أربعة أشخاص يتقنون هذا العمل الفني وهم: محمد الأدعس، عبد الله الحاج قاسم، عبد القادر أبو شمله، وحسن غنام. وكان الناس يتندرون في مجالسهم عن مقدرتهم في تصليح بوابير البيارات.

**ه- صناعة القرميد**

وأخيرا كان هناك مصنع للقرميد يستعمل لسقف البيوت الحديثة المبنية من أحجار الأسمنت وسقفها من الخشب وفوقه القرميد. صاحب المصنع من غزة واسمه محمد الحفناوي ، واشتهر باسم الحاج قرميد. ويقع المصنع بين مطحنة محمد الأدعس وبيارة حسن غبن على الطريق العام.

التجار والحرفيون

أما التجارة فكانت في معظمها محلية، على مستوى القرية، تتركز في توفير الاحتياجات اليومية للأهالي كالحبوب والسكر والشاي والقهوة وأنواع الحلوى. وكان هؤلاء تجار تجزئه. كانت لهم دكاكين (بقالات) ، وكان الدكان إما ملحق بالمنزل أو منفصل عنه. وكانت النقود وسيلة التعامل في البيع والشراء بشكل عام، وإن كان بعض الناس يستعيضون عن النقود بالحبوب ، كالقمح والذرة ، فيأخذون كمية منها إلى الدكان فيقدر البقال ثمنها ويزودهم طلباتهم. وهكذا كان يحقق ربحاُ مضاعفا (في البيع والشراء). وهذا من بقايا نظام المقايضة الذي كان سائداُ في القرون السابقة ثم أخذ يتلاشى شيئاُ فشيئا حتى أصبح لا أثر له في الأربعينات من القرن العشرين.

كان السوق الأسبوعي يعقد يوم الأربعاء في اسدود ، وكان يوماً هاماُ للنشاط التجاري ، ليس لسكان إسدود فحسب بل وللقرى المجاورة أيضاُ. ولم يقتصر السوق على بيع الحبوب والخضروات والفواكه المحلية ، بل كان فرصة لتجار الأقمشة من المجدل ، ومن أشهرهم محمود أبو طبلة ، لبيع كسوة العرايس، وأيضاُ لتجار الفخار من غزة وتجار المصوغات (الذهب والفضه) من المجدل وغزة. كما احتلت تجارة المواشي أهمية خاصة في هذا السوق ، سواء كانت من المواشي المحلية أو من الخارج ، فكان يأتي إلى السوق تجار من الخارج ومعهم قطعان من الماشية. وكان هناك سماسرة يعملون على التوفيق بين البائع والشاري ، مقابل كمسيون (عمولة) زهيدة ، ومن أشهرهم جمعه البربار. ولعدم توفر النقود في أيدي الفلاحين ، كانوا يبيعون بعض المنتوجات كالحبوب وغيرها ، إذا ما احتاجوا شراء ملابس أو قماش أو أية لوازم أخرى.

كان الفلاحون يبيعون منتوجاتهم من الحبوب والفاكهة والخضروات في يافا ، وكانوا ينقلونها على ظهور الجمال. وبعد إنشاء الأسفلت في الأربعينات ، حلت سيارات الشحن محل الجمال. وكان بعض أصحاب كروم العنب والتين يبيعون إنتاجهم الفائض عن السوق المحلي في القرى المجاورة ، ويذهبون بعيداً حتى سوق الجمعة بالفالوجه. وكان البعض يذهب إلى قرى المناطق الجبلية محملين بالأواني الفخارية والترمس وغيرها ويعودون بكميات من الزيت والزيتون والقطين والخروب ، ويتم ذلك باستعمال نظام المقايضه ، ولكن على نطاق ضيق.

كانت النساء تربي الدجاج والحمام وتعرضها للبيع في سوق الأربعاء لتشتري بثمنها بعض احتياجاتها الشخصية. أما بيض الدجاج فكانت تجارته رائجة ، إذ كان بعض الأشخاص في القرية يشترون البيض من البيوت ثم يبيعونه بالجملة في أقفاص لتجار من المدن لكثرة الطلب عليه هناك. ومن أشهر تجار البيض المحليين أبو شهاب ، من عائلة غبن. ومن نوادره أنه كان يعد البيض بعد تجميعه بعدد مماثل من حبات الترمس حفاظا على سلامة البيض من الكسر ولعدم معرفته الكتابة. وكما ذكرنا آنفاُ ، كان في كل قرية أصحاب حرف يقدمون خدمات للسكان لا غنى عنها مثل: النجارة والبناء والحلاقة والخياطة، وإصلاح بريموس الطبخ، والأحذية، وختان الأطفال وغيرها. وسنحاول ذكر أسماء بعض هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يقدمون هذه الخدمات. وكان الأجر عينا أحياناُ ونقداُ أحياناُ أخرى.

**أولاُ: تجار الحبوب ، ومنهم:**

1. عبد الله الحاج يوسف
2. أحمد طومان (الحرون)
3. خالد البطراوي
4. عبد الحميد عقل

**ثانياً: أصحاب الدكاكين**

وإلى جانب هؤلاء كان أصحاب الدكاكين المنتشرين في جميع الحارات يشترون الحبوب ولكن على نطاق ضيق. وكانت هذه الدكاكين موزعه جغرافياً على حارات البلدة ، ومن أشهرها على سبيل المثال:

**في وسط القرية** ، دكاكين كل من الشيخ محمود نجم، محمد القيق أبو حبيب، إبراهيم البطراوي، محمد الحاج يوسف.

**وفي حارة المصريين** ، دكاكين كل من الحاج عبد الله السباخي، حسن أبو زينه، الشيخ محي الدين، حسن كتوع.

**وفي الحارة الغربية** ، دكاكين كل من الحاج أبو راشد طومان، محمد الدوخي، سليمان عقل، عبد الحميد عقل، أما دكان فارس الشويخ فكانت لبيع الأقمشة.

**وفي الحارة الشرقية** على الطريق العام ، دكاكين كل من محمد طقش ، وعبد الله طومان ، وأحمد النوري ، وأحمد أبو صدغ.

**وفي حارة الجودة** على الأسفلت ، دكاكين كل من الشيخ محمد الحنفي ، خالد هرون ، سعدات موسى ، وخميس عبد الكريم.

**وفي وسط حارة الجودة** ، كان دكان الشيخ عبد الفتاح عيسى (سَلمَى) قريباُ من ساحة بابور الجودة.

**ثالثاً: النجارون**

كان النجارون نوعين ، أحدهما تقليدي يتعامل مع الأدوات الزراعية للفلاح ، من أشهرهم إبراهيم الحاج وأولاده ، محمد داود وأولاده ، عبد المنعم أبو شوقه ، وعبد الحميد أبو شمله. والآخر هو الجيل الجديد الذي يتعامل مع مستلزمات البيوت الحديثة من أبواب وشبابيك وسقف القرميد وغير ذلك. وقد اكتسب معظم هؤلاء خبرته في معسكرات الجيش البريطاني. ومن أشهرهم محارب داود تمراز وإخوانه ، محمود عطوان ، ربيع أبو شعيب ، علي أبو حرب ، سعيد أبو جازية ، حسن عطوان.

**رابعاً: الحلاقون**

كان يقوم بها الحلاقون بالاتفاق مع رب العائلة بالحلاقة له ولأولاده ، ويتقاضون أجرتهم من الحبوب بعد موسم الحصاد ، ومن الموظفين كانوا يتقاضون أجرهم نقداً. ومن أشهر الحلاقين:

1. أحمد ذياب وأولاده ذياب ومحمد
2. محمد عيسى ذياب وأولاده محمد وعيسى
3. خالد الصعيدي

ومحلات هؤلاء جميعا في الشارع العام بحارة المصريين.

1. أولاد الشيخ مصطفى السعدي الحمامي: عبد الرؤوف وعبد المجيد في حارة المناعمة.
2. الشيخ عمر وأخوه الشيخ عبد المطلب الحمامي ، ومحلاتهم في حارة المناعمة.
3. الشيخ عبد الرحمن جاد الله ، في الحارة الغربية.

**خامساً: الجزارون**

أما أعمال الجزارة فكان يقوم بها عدد كبير من اللحامين (الجزارين) بعضهم يبيع اللحم يوم السوق الأسبوعي والبعض يبيع ذبيحته يوم الجمعة بعد الصلاة فقط ، ونوع آخر لا يذبح إلا البقر والجمال ، وخاصة القعدان. ومن أشهرهؤلاء الجزارين أحمد أبو عطوان، أحمد أبوعلي، أحمد عويضه، خالد البطراوي ، موسى الحاج يوسف ، محمود النجار، العبد ربيع ، العبد مكاوي ، علي السلوت ، حموده عبد الواحد ، وإبراهيم البطراوي.

**سادساً: الخياطون**

حياكة الملابس لا يستغني عنها أحد ، والملابس الجاهزة لم تكن متوفرة في القرى ولا تتناسب وحياة الفلاح وعمله ، ولذلك كان لا بد من حياكة ملابسه عند خياطي القرية ، سواء كانوا رجالاً أم نساء ، ولكن كان بعض الرجال يخيط ملابسه عند النساء. ومن هؤلاء الخياطين رجال ومنهم نساء. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العديد من الرجال كانوا يتعاملون مع الخياطات من النساء ، وكنّ أكثر عدداُ من الخياطين الرجال ، ومن هؤلاء جودة محمود جودة ، وعبد الهادي جودة، وعثمان أبو سلوم ، وعبد الله طه.

ومن أشهر الخياطات أنيسه كتوع ، وبدرية لوز، وبسمة زوجة عبد الهادي جودة ، وسارة عطايا ، وصبحة الحاج قاسم ، وأنيسه أبو شملة ، وزوجة حسني الغرابلي. أما تطريز ثياب النساء بأنواعها فالغالبية العظمى من النساء كن يعرفن التطريز فيقمن بتطريز ثيابهن بأنفسهن.

**سابعاً: البناؤون**

اعتمد الفلاح في معظم الأحوال على نفسه وأقاربه في بناء بيته ، وربما احتاج أحيانا بَنَّاءً محترفاً متخصصاً في بناء الأقواس ، ولم يكن عدد هؤلاء كبيراُ ، ومنهم عوض نصار، حسن غبن، خليل النوري، وعبد الرحمن أبو شبيكة ، مصطفى أبو عطوان، سالم المقرقش.

**ثامناً: السماكرة**

أما أعمال السمكرة أو السنكرة فقد كانت قليلة لقلة الحاجة إليها. فلم يكن الفلاح يستعمل أدوات منزلية غير البريموس للطبخ ولم ينتشر استعماله إلا في الأربعينات من القرن العشرين ، وكذلك الفانوس المصنوع من التنك الملحوم والزجاج وهو للحفاظ على لمبة الضوء (التي تعمل بالكيروسين) حتى لا يطفئها الريح القوي ، وكان السراج مصنوعاً من التنك. ومن أشهر من كان يقوم بهذه الأعمال: الحاج لبرودي وهو من يبرود بقضاء رام الله ، وعبد الله الحاج قاسم، وعبد الرحمن شنينو.

**تاسعاً: الإسكافيون**

صناعة الأحذية كانت على نطاق ضيق جداً. إذ كان الناس يشترون أحذيتهم من سوق الأربعاء أو من المدن المجاورة كالمجدل. كان هناك بعض السكافيه لتصليح الأحذية ، وخاصة للفلاح أثناء موسم الحرث ، ومنهم يوسف الأعرج في حارة الجودة ومحمد عزيزة في منطقة السوق ، علاوة على السكافيه الذين يفدون إلى السوق الأسبوعي.

وفي منتصف الأربعينات من القرن العشرين ، جاء إلى اسدود إسكافي محترف ، اسمه إبراهيم حبيب ، وكان يهوديا من بلاد المغرب العربي ، وغالبا من تونس. استأجر دكاناً بجوار مقهى غبن، وكان يصنع أحذية جديدة حسب الطلب ، ويبيع أحذية جاهزة ، ويقوم بتصليح الأحذية القديمة.

وقد تدرب على يديه عبد الحميد ذياب ، وفعلاً أجاد المهنة وزاولها أثناء الهجرة في خانيونس. أما الخواجة إبراهيم فقد غادر اسدود حين صدور قرار التقسيم في عام 1947 ، بعد أن أخذت سماء فلسطين تتلبد بغيوم الحرب. وقد تعرف على بعض شباب إسدود الأسرى في معتقل قطرة عام 1948 ، مستفسراً عن أشخاص كانوا يسيئون معاملته أثناء إقامته في اسدود. ويذكر بعض الشباب من الأسرى أنه قد أحسن معاملتهم.

النقود (العملة)

في العهد العثماني ، كان الكثير من المعاملات في القرى بوجه عام ، بما في ذلك اسدود ، تتم بالمقايضة، ولكن هذا النظام أخذ في الانقراض مع مرور الزمن وربما انتهى تماماً بعد الحرب العالمية الأولى. ومع ذلك كانت هناك عملة في العهد العثماني ، ومن أهم فئاتها ليرة ذهبية عسملي (عثماني) ، وكذلك نقود فضية تدعى (المجيدي) وقيمته عشرون قرشاً (نسبة إلى السلطان عبد المجيد) ، ومن أجزائها القرش ، البشلك ، والبارة. وكانت هذه المسكوكات تضرب في استانبول إلى جانب أماكن أخرى مثل مصر (القاهرة) وحلب ودمشق وبغداد. وخلال الحرب العالمية الأولى، أصدرت الحكومة العثمانية لأول مرة ، عملة ورقيه لمواجهة متطلبات الحرب ، مما أدى إلى هبوط قيمة النقد العثماني.

وحين احتلت بريطانيا فلسطين عام 1917 ، جلبت معها العملة المصرية وأعلنت أنه نقد قانوني إلى جانب العملة التركية والإنجليزية ، وفي نهاية عام 1918 توقف التعامل بالعملة التركية. واستمر تداول العملة المصرية والإنجليزية سواء كانت ذهبية أم فضيه. وكان جنيه الذهب الإنجليزي (والذي كان الناس يسمونه ليرة الذهب الانجليزية) يساوي 97.5 قرشاً مصرياً.

وفي سنة 1927 ، أصدرت حكومة الانتداب البريطاني عملة فلسطينية ، وتوقف التداول بالعملة المصرية في 31/3/1928. وكانت العملة الفلسطينية الجديدة ورقية ومعدنية ، وكانت قيمة الجنيه الفلسطيني تساوي 97.5 قرشا مصريا. وقد كانت قيمة الجنيه ألف (1000) مل (خلافاً للمليم المصري) أومائة (100) قرش ، أي أن القرش كان عشرة ملات.

وقد اشتملت القطع المعدنية من النقد على تعريفه (5 مل) ، قرش (10 مل) ، قرشان (20 مل) ،وكانت مستديرة وفي وسطها ثقب. أما قطعتا المل واحد ، والملان فمصنوعتان من البرونز. وخلال الحرب العالمية الثانية ، تم سك القروش من البرونز أيضاً.

وكانت هناك قطعتان فضيتان هما شلن (50 مل) بريزه (100 مل) وشكلهما مستدير بدون ثقب.

أما العملة الورقية ، فاشتملت على نصف جنيه (500 مل) وجنيه (1000 مل) ، كما كانت هناك فئات من 5 جنيهات، 10 جنيهات، 50 جنيهاً، و 100 جنيه.

وقد زينت العملة المعدنيه برسومات غصن زيتون. وأما العملة الورقية فقد زينت برسومات لقبة الصخرة المشرفة ، ومئذنة جامع الرملة ، وعلى نصف الجنيه قبر راحيل والمعروف بمسجد بلال بن رباح ، الموجود في بيت لحم. وكانت الكتابة عليها باللغات الثلاثة الإنكليزية والعربية والعبرانية.

أما ألوان العملة الورقية: فالجنيه والمئة جنيه كانتا باللون ألأخضر، 5 جنيهات بألأحمر، 10 جنيهات بألأزرق، و50 جنيه باللون ألأرجواني. وفي أوائل عام 1948، أصدرت بريطانيا قراراً بإخراج العملة الفلسطينية من منطقة الإسترليني، ولكنها ظلت متداولة في قطاع غزة والضفة الغربية إلى أن استبدلت بالدينار الأردني في الضفة الغربية ، والجنيه المصري في قطاع غزة ، في عام 1951.